ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر
ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا
اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابيه
والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال
عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته
وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام
ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض
اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم
يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون
والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز
والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن
قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه
والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره
ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة
في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه

وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر
وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا
وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه
ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا
بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم
بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا
من شموخ الانف واباية الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا
اضطرارا والا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم والشغل بها اهون عليهم واسرع
بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة
في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستفرغ ما عنده في اخفاء
ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبية من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا
فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه

فصل

الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما
لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على
الدين كله وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله
اذا جاء نصر الله الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين
ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم
اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الارض

Copyright © King Saud University